الباب الأول

أخبار من عصر الراشدين

obeikandl.com

١- فصل

ذكر بعض أخبار عمر رضي الله عنه

[١] قيل : لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام إلى المدينة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز فى خباء[١] لها فقصدها فقالت: ما فعل عمر رضي الله عنه ، قال: قد أقبل من الشام سالماً فقالت: ياهذا لا جزاه الله خيراً عنى ، قال:ولما قالت: لأنه ما أنالنى من عطائه منذ ولى أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً ، فقال: وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع ؟ فقالت: سبحان الله ، والله ما ظننت أن أحداً يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها ، فبكى عمر رضي الله عنه ، فقال : وا عمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز ياعمر ، ثم قال: لها ياأمة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر فإنى أرحمه من النار ، فقالت : لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر : لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك ، إذ أقبل على بن أبى طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا: السلام عليك ياأمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها، وقالت : وا سوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه ، فقال لها عمر رضي الله عنه : لا بأس عليك يرحمك الله ، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها :"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة إلى يوم كذا ، بخمسة وعشرين ديناراً ؛ فما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى

---

(١) خِبَاء : مايعمل من وبر أو صوف أو شعر للسكن .

الله تعالى ، فعمر برىء منه ، شهد على ذلك : علىّ وابن مسعود" . ثم دفعها إلى ولده ، وقال له: إذا أنا مت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى.[1]

[٢] وقال شرف الدين حسين بن ريان : أغرب ما سمعته من الأخبار، وأعجب ما نقلته عن الأخيار ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ويسمع كلامه ، قال : بينما الإمام جالس فى بعض الأيام وعنده أكابر الصحابة وأهل الرأى والإصابة ؛ وهو يقول فى القضايا ويحكم بين الرعايا ، إذ أقبل شاب نظيف الأثواب يكتنفه[2] شابان من أحسن الشبان نظيفا الثياب ، قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدى أمير المؤمنين ، ولبباه[3].

فلما وقفوا بين يده نظر إليهما وإليه ، فأمرهما بالكف عنه فأدنياه منه، وقالا: ياأمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان ، كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير ، معظم فى قبائله ، منزه عن الرذائل ، معروف بفضائله ، ربانا صغاراً وأعزنا كباراً وأولانا نعما غزاراً كما قيل :

لنا والد لو كان للناس مثله ... أب آخر أغناهمو بالمناقب

خرج اليوم إلى حديقة له يتنزه فى أشجارها ، ويقطف يانع ثمارها ، فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ، ونسألك القصاص بما جناه ، والحكم فيه بما أراك الله .

---

(١) انظر : حياة الحيوان الكبرى للدميرى ، حرف الهمزة (١/٧٨) .

(٢) يكتنفه : يحيطوا به .

(٣) لبياه : ألزماه مكانه .

قال الراوى : فنظر عمر إلى الشاب وقال له : قد سمعت فما الجواب؟ والغلام مع ذلك ثابت الحأش خالٍ من الاستيحاش[1] قد خلع ثياب الهلع ونزع جلباب الجزع، فتبسم عن مثل الجمان[2] وتكلم بأفصح لسان وحياه بكلمات حسان ، ثم قال : ياأمير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا ، وصدقا فيما نطقا ، وخبرا بما جرى وعبرا بما ترى، وسأنهى قصتى بين يديك والأمر فيها إليك ، اعلم ياأمير المؤمنين أنى من العرب العرباء أبيت فى منازل البادية وأصبح على أسود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد ، فأفضت بى بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بنياق[3] حبيبات إلىّ عزيزات علىّ ، بينهن فحل كريم الأصل ، كثير النسل، مليح الشكل، حسن النتاج ، يمشى بينهن كأنه ملك عليه تاج، فدنت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها، فطردتها عن تلك الحديقة ، فإذا شيخ قد زمجر[4] وزفر[5] وتسور الحائط[6] وظهر وفى يده اليمنى حجر يتهادى كالليث إذا خطر، فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله ، وأصاب مقتله . فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه انقلب توقدت فىّ جمرات الغضب ، فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به ، فكان سبب حينه ولقى سوء منقلبه ، والمرء مقتول بما قتل به،

---

(١) خال من الاستيحاش : غير مكترث لأى أمر .

(٢) الجُمَان : اللؤلؤ .

(٣) نِيَاق ، جمع ناقة : الأنثى من الإبل ، سميت بذلك لارتفاع خلقها .

(٤) زَمْحَر : أكثر الصياح والصخب .

(٥) زَفَر : أخرج نفسه مع مَدٍّ إياه .

(٦) تَسَوَّر الحائط : صعد عليه .

بعد أن صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة أليمة ، فأسرعت من مكانى فلم يكن بأسرع من هذين الشابين فأمسكانى وأحضرانى كما ترانى ، فقال عمر : قد اعترفت بما اقترفت، وتعذر الخلاص ، ووجب القصاص ، ولات حين مناص .

فقال الشاب : سمعاً لما حكم به الإمام ، ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ، لكن لى أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل ، وذهب جليل، وأحضره بين يدى وأسلم أمره إلىّ ، وأشهد الله علىّ ، وقال: هذا لأخيك عندك فاحفظه جهدك ، فاتخذت لذلك مدمناً[1] ووضعته فيه ، ولا يعلم به إلا أنا ، فإن حكمت الآن بقتلى ذهب الذهب ، وكنت أنت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه ، وإن أنظرتنى ثلاثة أيام ، أقمت من يتولى أمر الغلام ، وعدت وافياً بالزمام ، ولى من يضمننى على هذا الكلام . فأطرق عمر ثم نظر إلى من حضر وقال : من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه ؟ قال : فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناظرين، وأشار إلى أبى ذر دون الحاضرين ، وقال : هذا يكفلنى ويضمننى. قال عمر: يا أبا ذر تضمنه على هذا الكلام ؟ قال : نعم أضمنه إلى ثلاثة أيام . فرضى الشابان بضمانة أبى ذر ، وأنظراه ذلك القدر.

فلما انقضت مدة الإمهال ، وكاد وقتها يزول أو قد زال ، حضر الشابان إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر، وأبو ذر قد حضر والخصم ينتظر، فقال : أين الغريم[2] يا أبا ذر كيف يرجع من فر ، لا

---

(١) مدمنا : دار قديمة .

(٢) الغريم : الخصم .

تبرح من مكاننا حتى تفى بضماننا ؟ فقال أبو ذر : وحق الملك العلام إن انقضى تمام الأيام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وأسلمت نفسى وبالله المستعان . فقال عمر : والله إن تأخر الغلام لأمضين فى أبى ذر ما اقتضته شريعة الإسلام . فهمت عبرات[1] الناظرين إليه ، وعلت زفرات الحاضرين عليه ، وعظم الضجيج وتزايد النشيج[2] ، فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية[3] ، فأصرا على عدم القبول ، وأبيا إلا الأخذ بثأر المقتول ، فبينما الناس يموجون تلهفاً لما مر، ويضجون تأسفاً على أبى ذر، إذ أقبل الغلام ووقف بين يدى الإمام ، وسلم عليه أتم السلام ، ووجهه يتهلل مشرقاً، ويتكلل عرقاً[4] ، وقال : قد أسلمت الصبى إلى أخواله، وعرفتهم بخفى أحواله ، وأطلعتهم على مكان ماله ، ثم اقتحمت هاجرات[5] الحر ، ووفيت وفاء الحر، فعجب الناس من صدقه ، ووفائه وإقدامه على الموت واجترائه ، فقال : من غدر لم يعف عنه من قدر ، ومن وفى رحمه الطالب وعفا ، وتحققت أن الموت إذا حضر لم ينج منه احتراس ؛ كيلا يقال: ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذر : والله ياأمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ، ولم أعرفه من أى قوم ، ولا رأيته قبل ذلك اليوم ؛ ولكن نظر إلى دون من

---

(١) عَبَرَات : دموع .

(٢) النشيج : الصوت .

(٣) الأُثْنِيَة ، مفردها الثناء : المدح .

(٤) يتكلل عرقاً : شدة العرق .

(٥) هَاجِرَات : نصف النهار فى القيظ أو عند زوال الشمس إلى العصر .

حضر فقصدنى ، وقال : هذا يضمننى ، فلم أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس فى إجابة القاصد من بأس ؛ كيلا يقال : ذهب الفضل من الناس ، فقال الشابان عند ذلك: ياأمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا ، فبدل وحشته بإيناس ؛ كيلا يقال : ذهب المعروف من الناس . فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام ، وصدقه ووفائه ، واستغزر مروءة أبى ذر دون جلسائه ، واستحسن اعتماد الشابين فى اصطناع المعروف ، وأثنى عليهما أحسن ثنائه وتمثل بهذا البيت :

من يصنع الخير لم يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أبيهما ، فقالا : إنما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ، ومن نيته هكذا لا يتبع إحسانه منا ولا أذى.

قال الراوى : فأثبتها فى ديوان الغرائب وسيطرتها فى عنوان العجائب، انتهى .

[٣] و[قيل][1] : أحضر الهرمزان[2] بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مأسوراً فدعاه إلى الإسلام فأبى ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : ياأمير المؤمنين قبل أن تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى ظمآن ، فأمر له عمر بقدح مملوء ماء. فلما صار القدح فى يد الهرمزان قال : أنا آمن

---

(١) انظر : عيون الأخبار ، لابن قتيبة (٢٩٣/١) والعقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٥/١) .

(٢) الهرمزان : من دهاقنة الأهواز ، وقد أسلم وعاش بالمدينة ، وكان من المقربين لعمر بن الخطاب . وقد اتهم بالمشاركة فى قتل عمر بن الخطاب ، فقتله عبيد الله بن عمر فى الليلة التى مات فيها أبوه . انظر : كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى ص ٦٠ .

حتى أشربه ؟ قال : نعم لك الأمان حتى تشربه ، فألقى الهرمزان الإناء من يده فأراقه ، ثم قال : الوفاء ياأمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه : دعوه حتى أنظر في أمره . فلما رفع السيف عنه قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فقال عمر رضي الله عنه : لقد أسلمت خير الإسلام ، فما أخرك؟ قال : خشيت أن يقال : إني أسلمت خوفاً من السيف ، فقال عمر: إنك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ، ثم أن عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان يشاوره في إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه انتهى . وسيأتي نظير ذلك في أخذ الأمان بالحيلة .

[٤] ومما ذكر عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد ابن عبدون[١]: عما وقع لجبلة بن الأيهم[٢]حين لطم الفزارى على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضي الله عنه : يقتص منك أو ما هذا معناه ، فقال لعمر : وهل أستوى أنا وهو في ذلك ؟ فقال له : نعم الإسلام ساوى بينكما ، فقال: أجلني إلى غد ، فلما أصبح مضى إلى قيصر ملك الروم وارتد ، ثم ندم وقال أبياتاً وهي هذه :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور[٣]

---

(١) انظر : تاريخ ابن خلدون (٢/٢٨١) .

(٢) جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني : أخر ملوك الغساسنة في بادية الشام . قاتل المسلمين في دومة الجندل(١٢هـ)وأسلم بعد وقعة اليرموك(١٥هـ)وهاجر إلى المدينة ثم ارتد وخرج إلى بلاد الروم وتنصر ، ومات على كفره ،ت[٢٠هـ- ٦٤١م] .

(٣) لِجَاج : التمادى في العناد .

فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى الأمر الذى قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الأيهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية ، أقطعه هرقل الأموال والضياع وبقى ما شاء الله . ثم إن عمر رضي الله عنه بعث إلى قيصر رسولاً[1] يدعوه إلى الإسلام أو إلى الجزية ، فلما أراد الانصراف قال هرقل للرسول : ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا ، يعنى جبلة الذى أتانا راغباً فى ديننا، قال : لا ، قال : فالقه ثم إئتنى أعطك جواب كتابك .

قال الرسول : فذهب إلى دار جبلة ، فإذا عليه من القهارمة[2] والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل ، قال : فلم أزل أتلطف بالإذن حتى أذن لى ، فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية[3] ذا سبال[4] ، وكان عهدى به أسود اللحية والرأس فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب[5] فذرها على لحيته حتى أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه أربعة أسود من ذهب.

فلما عرفنى رفعنى معه على السرير ، فجعل يسألنى عن المسلمين ، فذكرت له خيراً وقلت : قد أضعفوا أضعافاً على ما تعرف ، فقال : وكيف

---

(١) الرسول الذى بعثه عمر بن الخطاب ، هو : حشامة بن مساحق الكنانى .

(٢) القهارمة : الوكلاء ، أو أمناء الداخل والخارج .

(٣) أصهب اللحية : بها حمرة .

(٤) السبال : ماعلى الشارب من الشعر .

(٥) سحالة الذهب : برُادة الذهب .

تركت عمر بن الخطاب ؟ فقلت : بخير . قال : فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ، ثم انحدرت على السرير، فقال : لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها ؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا ، فقال : نعم نهى صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن نق قلبك ولا تبال على ما قعدت .

فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم ؛ طمعت فيه، فقلت له: ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله ! فقال : أبعد ما كان منى، قلت : نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت : ارتد عن الإسلام، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام ؛ وقبل منه ، وخلفته بالمدينة مسلماً، وإنما ذكرت له أن الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وأنه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع إلى الإسلام ؛ لأن الرجل الذى كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزارياً أيضاً، فقلت له: أمرك أخف من أمره إن رجعت إلى الإسلام ، فإنك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل ، فقال : زدنى من هذا؛ إن كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ، ويولينى الأمر من بعده ، رجعت إلى الإسلام ؛ فضمنت له التزويج ولم أضمن له توليه الأمر .

قال : ثم أومأ إلى خادم كان على رأسه واقفاً فذهب مسرعاً ، فإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها طعام، فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة، وقال لى : كل فقبضت يدى، وقلت : رسول الله ﷺ نهى عن الأكل فى آنية الذهب والفضة ، قال : نعم نهى صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت ، قال : فأكل فى الذهب

وأكلت أنا فى الخلنج[1]، ثم دعا بطسوت[2] الذهب وأباريق الفضة، فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر[3]، ثم أومأ إلى خادم بين يديه، فمر مسرعاً فسمعت حساً فإذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله، ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب، فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى، ثم جاءت جارية أيضاً كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها جامة[4] فيها مسك فتيت، وفى يدها الأخرى جامة فيها ماء ورد، فأومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها، ثم صفرت به ثانياً فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها، ثم أومأت إليه فطار، ثم نزل على صليب فى تاج على جبلة، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه، فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه، ثم التفت إلى الجوارى اللواتى عن يمينه فقال لهن: أضحكننا فاندفعن يغنين فجعلن يخفقن عيدانهن ويقلن[5]:

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق فى الزمان الأول[6]

---

(١) الخلنج: شجر تُعمل منه القصاع ومنه قولهم: لبن النحت فى قصاع الخلنج.

(٢) الطسوت، جمع طست: الإناء.

(٣) الصُفْر: إناء من النحاس.

(٤) الجامة: الكأس.

(٥) الأبيات لحسان بن ثابت. انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه (٢/٥٩).

(٦) جِلّق: موضع فى سورية جنوبى دمشق، استوطنه الغساسنة.

إلى قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريض عليهمو بردى يصفق بالرحيق السلسل[1]

قال : فضحك جبلة حتى بدت أنيابه ، ثم قال : أتدرى من يقول هذا؟ قلت: لا قال: حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ ثم أشار إلى الجوارى اللواتى عن يساره وقال : أبكيننا ، فاندفعن يغنين وتخفق عيدانهن ويقلن شعراً[2] :

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك فالجمان[3]

إلى قوله :

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ ـر وحق تعاقب الأزمان

قال : فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتدرى من يقول هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان ؛ ثم أنشد الأبيات التى أولها تنصرت الأشراف إلى آخرها ، ثم سألنى عن حسان أحى هو ؟ قلت : نعم فأمر له بكسوة ولى أيضاً كذلك، ثم أمر لحسان بمال ونوق موقورة براً[4]، ثم قال لى : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية ، وأقرئه منى السلام ، وإن وجدته ميتاً، فادفعها إلى أهله ، وانحر النوق على قبره .

---

(١) البريض : ماء الورد

(٢) الأبيات لحسان بن ثابت . انظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربه (٢/٥٩،٦٠) .

(٣) مَعان : مدينة فى جنوب الأردن .

(٤) نوق موقورة براً : المراد أنها مسمنة بإعلافها القمح ،مما يزيد من قيمتها .

قال : فلما أخبرت عمر ﷺ بخبره وما اشترطه على ، وما ضمنت له، قال : فهلا ضمنت له الأمر ، فإذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمه ما كان إلا ما أراد ، ثم جهزنى عمر ثانياً إلى هرقل ، وأمرنى أن أضمن له ما اشترطت . فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب ، انتهى .

[٥] [وقيل] : إنه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب ﷺ يشكون سعد بن أبى وقاص[١] ، فقال : من يعذرنى من أهل الكوفة ، إن وليتهم التقى ضعفوه ، وإن وليتهم القوى فجروه ، فقال له المغيرة بن شعبة[٢] : ياأمير المؤمنين إن التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه ، وإن القوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره ، قال: صدقت أنت القوى الفاجر ، فاخرج إليهم فلم يزل عليهم أيام عمر ، وأيام عثمان رضى الله عنهما، وأيام معاوية حتى مات المغيرة ، انتهى .

---

(١) سعد بن أبى وقاص ، هو : مالك بن وهب القرشى المكى ، صحابى جليل من العشرة المبشرين بالجنة، أول من رمى بسهم فى الإسلام ، شهد بدراً والمشاهد ، وهو أحد الستة أصحاب الشورى . صاحب القادسية . ولاه عمر على الكوفة ثم عزله عنها [٢١هـ] عندما شكاه ، أهلها تُوفى بالمدينة ، ودفن بالبقيع سنة [٥٥هـ - ٦٧٤م] . انظر : تذكرة الحفاظ (١/٢٢) .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود : صحابى ، أسلم فى السنة الخامسة من الهجرة . أول من سلم عليه بالإمرة فى الإسلام ، ت[٥٠هـ] . انظر : الإصابة ترجمة رقم (٨١٨١) .

[٦] [وقيل] : دخل عمرو بن معد يكرب الزبيدى[١] على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال عمر : أخبرنى عن أجبن من لقيت ، وأحيل من لقيت، وأشجع من لقيت .

قال: نعم ياأمير المؤمنين ، خرجت مرة أريد الغارة فبينما أنا سائر، إذا بفرس مشدود ، ورمح مركوز[٢] ، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً ، وهو محتب[٣] بحمائل سيفه ، فقلت له خذ حذرك فإنى قاتلك فقال : ومن أنت ، قلت: أنا عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، فشهق شهقة فمات . فهذا ياأمير المؤمنين أجبن من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي ، فإذا أنا بفرس مشدود ، ورمح مركوز، وإذا صاحبه فى وهدة[٤] يقضى حاجته ، فقلت : خذ حذرك فإنى قاتلك ، فقال : ومن أنت ؟ فأعلمته بى ، فقال : ياأبا ثور ما أنصفتنى أنت على ظهر فرسك، وأنا على الأرض فاعطنى عهداً ، أنك لا تقتلنى حتى أركب فرسى فأعطيته عهداً ، فخرج من الموضع الذى كان فيه ، واحتبى بحمائل سيفه ، وجلس فقلت ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسى ولا

---

(١) انظر: بدائع السلك فى طبائع الملك،لابن الأزرق ص٤٣٥. عمرو بن معد يكرب بن ربيعة الزبيدى : صحابى ، فارس اليمن صاحب الغارات المذكورة . أسلم مع وفد بنى زبيد (٩هـ) وإرتد بعد وفاة النبى ﷺ فى اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام وبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، والقادسية ، توفى بالرى ، ت[٢١هـ=٦٤٢م] .

(٢) رمح مركوز : مثبت فى الأرض .

(٣) محتب من احْتبى احتباءً بالثوب : اشتمل به ، حمائل مفردها حِمَالة : علاقة السيف .

(٤) وَهْدة : الأرض المنخفضة .

بمقاتلك ، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد، فتركته ومضيت ، فهذا ياأمير المؤمنين أحيل من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق ، فلم أر أحداً فأجريت فرسى يميناً وشمالاً ، وإذا أنا بفارس فلما دنا منى ، فإذا هو غلام حسن نبت عذاره[1]، من أجمل من رأيت من الفتيان ، وأحسنهم ، وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة ، فلما قرب منى سلم فرددت عليه السلام، وقلت : من الفتى ؟ قال : الحارث بن سعد فارس الشهباء، فقلت له : خذ حذرك فإنى قاتلك ، فقال : الويل لك فمن أنت ؟ قلت : عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، قال : الذليل الحقير ، والله ما يمنعنى من قتلك إلا استصغارك ، فتصاغرت نفسى ياأمير المؤمنين وعظم عندى ما استقبلنى به، فقلت له: دع هذا وخذ حذرك فإنى قاتلك ، والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فقال : اذهب ثكلتك أمك، فأنا من أهل بيت ما أثكلنا فارس قط ، قلت : هو الذىتسمعه ، قال: اختر لنفسك فإما أن تطرد لى وإما أن أطرد لك ، فاغتنمتها منه فقلت له : أطرد لى ، فأطرد وحملت عليه فظننت أنى وضعت الرمح بين كتفيه ، فإذا هو صار حزاماً لفرسه، ثم عطف على فقنع بالقناة رأسى ، وقال : ياعمرو خذها إليك واحدة ، ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك ، قال : فتصاغرت نفسى عندى وكان الموت ياأمير المؤمنين أحب إلى مما رأيت ، فقلت له : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فعرض علىَّ مقالته الأولى ، فقلت له : أطرد لى فأطرد فظننت أنى تمكنت منه فأتبعته حتى ظننت أنى وضعت الرمح بين كتفيه ، فإذا هو صار لبداً[2] لفرسه ، ثم

---

(١) عِذاره : الشعر الذى بجانب الأذن .

(٢) صار لبداً : ملازماً له .

عطف علـى ، فقنـع بالقنـاة رأسـى ، وقـال : خذهـا إليـك يـاعمرو ثانيـة ، فتصاغرت على نفسى جداً قلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فأطرد حتـى ظننت أنى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه ، فإذا هو علـى الأرض فأخطأته فاستوى على فرسه واتبعنى حتى قنع بالقناة رأسـى ، وقال: خذهـا إليك ياعمرو ثـالثة ، ولولا كراهتـى لقتـل مثلـك لقتلتـك ، فقلـت : اقتلنـى أحب إلىّ ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقـال : يـاعمرو إنمـا العفـو عـن ثلاث ، وإذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وأنشد يقول :

وكـدت أغلاظـاً مـن الأيمـان ... إن عـدت يـاعمرو إلـى الطعـان
لتجـدن لهـب السـنان ... أولا فلسـت مـن بنـى شيبـان

فهبته هيبة شديدة ، وقلت له : إن لى إليك حاجة ، قال : وما هـى ؟ قلت : أكون صاحبا لـك قـال : لسـت مـن أصحـابى ، فكـان ذلـك أشـد على وأعظم مما صنع، فلم أزل أطلب صحبته حتـى قـال : ويحـك أتـدرى أين أريد ؟ قلت : لا والله قال : أريـد المـوت الأحمـر عيانـاً قلـت : أريـد الموت معك .

قال : امض بنا ، فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليـل ، ومضـى شـطره فوردنا على حى من أحياء العرب ، فقال لى : ياعمرو فى هذا الحى الموت الأحمر ، فإما أن تمسك على فرسى فأنزل وآتى بحـاجتى ، وإمـا أن تـنزل وأمسـك فرسـك فتـأتينى بحـاجتى ، فقلـت : بـل انـزل أنـت فـأنت أخـبر بحاجتك منى، فرمى إلىّ بعنان فرسـه ورضيـت والله يـاأمير المؤمنيـن بـأن أكون له سائساً، ثم مضى إلى قبة فأخرج منها جارية لم تـر عينـاى أحسـن منها حسناً وجمالاً ، فحملها على ناقة ثم قال: ياعمرو فقلت : لبيك قال :

إما أن تحمينى وأقود الناقة أو أحميك وتقودها أنت ، قلت: لا بل أقودها وتحمينى أنت ، فرمى إلى بزمام الناقة ثم سرنا حتى أصبحنا .

قال: ياعمرو قلت : ما تشاء ، قال : التفت فانظر هل ترى أحداً ؟ فالتفت فرأيت رجالاً، فقلت : أغذذ السير[1]، ثم قال : ياعمرو انظر إن كانوا قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر ، وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء، فالتفت وقلت : هم أربعة أو خمسة ، قال : اغذذ السير ، ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب ، فقال : ياعمرو كن عن يمين الطريق وقف ، وحول وجه دوابنا إلى الطريق ، فعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ، ودنا القوم منّا وإذا هم ثلاثة نفر: شابان وشيخ كبير ، وهو أبو الجارية ، والشابان أخواها ، فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ : خل عن الجارية يا ابن أخى ، فقال : ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها ، فقال: لأحد بنيه : اخرج إليه ، فخرج وهو يجر رمحه ، فحمل عليه الحارث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضب الذابل ... من فارس ملثم مقاتل
ينمى إلى شيبان خير وائل ... ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه ، فسقط ميتاً ، فقال الشيخ لابنه الآخر : اخرج إليه فلا خير فى الحياة على الذل فأقبل الحارث وهو يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتى ... والطعن للقرم الشديد الهمة[2]

---

(١) أغذذ السير : أسرع فى السير .

(٢) القَرْم : السيد ، على التشبيه بالقرم من الإبل لعظم شأنه .

والموت خير من فراق خلتى فقتلتى اليوم ولا مذلتى

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً ، فقال له الشيخ : خل عن الظعينة[1] يا ابن أخى ، فإنى لست كمن رأيت ، فقال : ما كنت لأخليها ولا لهذا قصدت، فقال : الشيخ يا ابن أخى اختر لنفسك ، فإن شئت نازلتك وإن شئت طاردتك ، فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعراً :

ما أرتجى عند فناء عمرو سأجعل التسعين مثل شعر
تخافنى الشجعان طول دهرى إن استباح البيض قصم الظهر

فأقبل الحارث وهو ينشد ويقول :

بعد ارتحالى ومطال سفرى وقد ظفرت وشفيت صدرى
فالموت خير من لباس الغدر والعار أهديه لحى بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخى إن شئت ضربتك فإن أبقيت فيك بقية فاضربنى ، وإن شئت فاضربنى فإن أبقيت فى بقية ضربتك ، فاغتنمها الفتى وقال : أنا أبدأ فقال الشيخ : هات فرفع الحارث يده بالسيف ، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ضرب بطنه بطعنة قدّ منها أمعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين . فأخذت يا أمير المؤمنين : أربعة أفراس ، وأربعة أسياف ؛ ثم أقبلت إلى الناقة . فقالت الجارية : ياعمرو إلى أين ولست بصاحبتك ، ولست لى بصاحب ولست كمن رأيت ، فقلت : اسكتى ، فقالت : إن كنت لى صاحباً فاعطنى سيفاً

---

(١) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج .

أو رمحاً، فإن غلبتنى فأنا لك وإن غلبتك قتلتك ، فقلت : ما أنا بمعط ذلك، وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها على البعير ثم أقبلت تقول :

أبعد شيخى ثم بعد إخوتى ... يطيب عيشى بعدهم ولذتى
وأصحبن من لم يكن ذا همة ... هلا تكون قبل ذا منيتى

ثم هوت إلى الرمح وكادت تنزعه من يدى فلما رأيت ذلك منها خفت إن ظفرت بى قتلتنى فقتلتها ، فهذا ياأمير المؤمنين أشجع من رأيت .

[٧] [قيل] : أتى رجل إلى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستحمله ، فقال له : خذ لك بعيراً من إبل الصدقة ؛ فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه ، فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته ، فقال له : هل رأيت أقوى منك من أحد ؟ قال: نعم ، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها زوجها، فنزلت على حوض فأقبل رجل معه ذود[1] فضرب ذوده إلى الحوض فساورها[2] يعنى المرأة فنادتنى فما انتهيت إليها حتى خالطها ، فجئت لأدفعه عنها ، فأخذ رأسى بين عضديه وجنبه ، فما استطعت التحرك حتى قضى وطره منها ، فقالت : أى فحل هذا لو كان منيحة[3]! فأمهلته حتى امتلأ نوماً ، فقمت له بالسيف فضربت ساقه ، فانتبه فتناول رجله فرمانى بها فأخطأنى ، أى فاتنى ، وأصاب رأس بعير فقتله . فقال عمر رضي الله عنه : ما

---

(١) ذَوْد : الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن الثلاث، ولا يكون إلا من الإناث.

(٢) ساورها : وثب عليها .

(٣) مِنْيحة : العطية ، أى وكأنه أعجبها .

فعلت بالمرأة ؟ فقال : هذا حديث الرجل ، فكرر عليه السؤال ، فلم يزده على هذا ، ففطن أنه قتلها ، انتهى .

[٨] **ويحكى** : أن عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه[١] ، كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها ، خوفاً من زوجته ، فمضت يوماً زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين ، فقالت : أفعلتها قال : لم أكن فاعلها ، قالت : فأقرأ ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال :

علمت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الإله مسوّمينا

قالت : صدقت ، وكذبت عيناى قال : فذهبت وأخبرت النبى ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ، وصار يكررها ويقول :كيف قلت ، انتهى[٢].

---

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى : صحابى جليل من الأمراء ، والشعراء ، أحد النقباء ، شهد بدرا والمشاهد مع الرسول ﷺ وكان يقول : إذا لقى الرجل من أصحابة يقول : تعالى نؤمن بربنا ساعة ، وكان أحد الأمراء فى وقعة مؤتة فاستشهد فيها ، ت[٨هـ = ٦٢٩م] .

(٢) انظر : الاستيعاب ، ابن عبد البر (٨٩٨/٣) .